

كتاب "نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية"  
للبروفيسور الممتاز Emeritus Professor عز الدين الأمين

صدر هذا الكتاب عام 1420 هـ / 1999م عن دار جامعة الخرطوم للنشر، وهو أول كتاب في موضوعه. وقد مهد مؤلفه للموضوع بما صدر من أحكام على الشعر والشعراء قبل نشأة النقد بالسودان، وذلك في عصور الفونج والتركية والمهدية. ثم درس أهم العوامل التي كان لها أثر في نشأته فيما بعد، وهي: معاهد التعليم وفي قمتها كلية غردون التذكارية التي افتتحت عام 1902 ومعهد أم درمان العلمي الذي أنشئ عام 1912. ومن العوامل أيضاً الصحافة، وأهمها صحيفة حضارة السودان (1919 - 1938) ومجلة النهضة السودانية (1931 - 1932) ومجلة الفجر (1934 - 1935) وكذلك منها الملتقى الاجتماعي والفكري والأدي، وكان أهم مراكزه نادي خريجي مدارس السودان بأم درمان الذي افتتح عام 1918، وأصبحوا يتحدثون عنه فيما بعد بشيخ الأندية. وفي رحاب هذا النادي أنشئ عام 1938 مؤتمر الخريجين العام. ومن أثر هذه العوامل، أوضح المؤلف أنه وجد نقد عمد إلى توجيه الأدباء بعامة والشعراء بخاصة. وقد لقي هذا النقد تأييداً كما لقي معارضة خشية تأثيره على الأدباء الناشئين، فيحجمون عن الإنتاج. ومع ذلك مضى في سبيله، وبحث مسائل مهمة، منها:

وظيفة النقد وصفات الناقد الموضوعية، ومنها النقد التأثري، والموضوعية ودراسة الشخصية، والموضوعية ودراسة البيئة والعصر والجنس، والموضوعية والرومانسية.

ودرس المؤلف في مكان آخر ما كتبه النقاد عن وظيفة الأدب وأغراض الشعر، ودرس آرائهم في مسائل كثيرة منها، مثل الفرق بين الأدب والعلم والفلسفة، ومثل رسالة الأدب في الحياة، ومثل الدعوة للأدب القومي السوداني. وانتقل المؤلف ليتكلم عن كُنه الشعر كما يراه نقاد تلك الفترة، فعرض آرائهم في تعريف الشعر، وفي شخصية الشاعر في شعره، والشعر موهبة وصناعة، وما قالوه عن الوحدة في القصيدة إلى ذلك من الخصائص التي تحدّد عناصر الشعر والتي تفرّق بينه وبين غيره من الفنون.

وعني الكتاب عناية خاصة بدعوة التجديد التي برزت، وصحبها الاتجاه الرومانسي في النقد، مع مهاجمة مدرسة الإحياء.

ثم جعل المؤلف قسماً خاصاً من كتابه بعنوان "أشعار وشعراء في الميزان" تناول فيه النقد الذي وُجّه لبعض الشعراء، ومنهم شعراء سودانيون كحسيب علي حسيب وعبد الله حسن كُردي وعبد المجيد وصفي وعلي أرباب وأحمد المرضي وأحمد محمد صالح وعبد الله محمد عمر البنا. وتناولوا بالنقد أيضاً شعراء من خارج السودان، كالمازني وعلي محمود طه المهندس والعقاد.

وكان المؤلف في كلّ عمله محلّ، ويعلّق، ويؤيّد رأيه في المسائل المختلفة. ولعلّه من المناسب أن نوجز هنا معايير نقد الشعر في الفترة المعنية كما توصّل إليها المؤلف، فهي كما يلي:

1- أن تكون للأدب بعمامة رسالة في الحياة، ولذا فقد هاجموا شعر المناسبات وشعر المدح لا سيما شعر التكسّب، وذموا شعر الفخر والمهجاء والتهاني.

2- ضرورة التجديد في المعاني، ووضوحها، والبعد بها عن تقليد الأقدمين والسرقة. ولذا دعوا للأصالة والتعبير عن شخصية الأديب ونفسيته، في سمو وصدق، وانتهوا إلى أن الأدب عاطفة معتمدة على أفكار.

وعلى الشاعر أن يُعنى في الوصف بالتعبير عن تأثير الموصوف على نفسه، دون أن يهتم بالوصف الحسي المادي.

3- مراعاة الوحدة الفنية للقصيدة.

4- ضرورة الوضوح في الأسلوب، وعدم التكلف فيه، مع تحيّر الألفاظ وانسجامها، والبعد بها عن الزخرف، وملاءمتها لعصرها، وجودة صوغ عبارتها، مع الإبداع في الصور الخيالية.

5- بوادر الدعوة لاكتشاف أوزان جديدة دون مناداة بالتحجر من الأوزان القديمة. هذا، وكان النقاد فيما يتجهون به يمثلون ثلاث مدارس، هي:

أولاً: مدرسة النقد العربي الخالص التي لم تتأثر بنقد أجنبي، إنما كانت متأثرة بنقاد العرب الأقدمين كالأمدي والقاضي الجرجاني وعبد القاهر. وكان نقد هذه المدرسة يدور في فلك النحو واللغة والعروض والأفكار والمعاني والتشبيه والاستعارة والسرقة إلى غير ذلك مما كانت تدور فيه طبيعة النقد العربي القديم. ويمثل نقد هذه المدرسة أحمد فوزي وحسيب علي حسيب، كما يمثله أولئك النقاد الذين كانوا لا يفصحون عن أسمائهم، فأحدهم "ميم" والآخر "ح.م" وغيرهما ابن رجاء وآخر ابن جني.

ثانياً: مدرسة النقد العربي المتأثرة بالنقد الأجنبي عن طريق الترجمة للعربية أو عن طريق القراءة للنقاد العرب المتأثرين بذلك النقد. وهذه المدرسة أدخلت الكثير من اتجاهات النقد الغربية ومبادئه. وكانت متأثرة أكثر بالمبادئ الرومانسية، وكان تسأثر بعضها مباشراً بمدرسة الديوان. ومن رواد هذه المدرسة الثانية الأمين علي مسدي وطينل والتهجاني يوسف بشير.

ثالثاً: مدرسة النقد المتأثرة تأثراً مباشراً بالنقد الأجنبي، في اطلاعها المباشر عليه، مع اطلاعها على الآثار النقدية العربية الوافدة. ومن نقاد هذه المدرسة: محمد أحمد محبوب ومحمد عشري الصديقي ويوسف مصطفى التني.

لقد تناول الأستاذ الدكتور عز الدين الأمين قضايا النقد الأدبي في السودان فعرضها عرضاً منهجياً علمياً في أسلوب مشرق سلس، حللها تحليل متمكن درب ومخض آراء من نقدوا الشعر في السودان فكان هذا الكتاب زبدة كل ما كتب عن نقد الشعر في السودان.